

تفسير ابن كثير

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبِ
مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ^ج ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ^ج ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ

ثم قال تعالى : (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) أي :
ألزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يأمنون (إلا بحبل من الله) أي : بدمية من الله
، وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم ، وإلزامهم أحكام الملة (وحبل من الناس)
أي : أمان منهم ولهم ، كما في المهادن والمعاهد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين
ولو امرأة ، وكذا عبد ، على أحد قولي العلماء . قال ابن عباس : (إلا بحبل من الله
وحبل من الناس) أي : بعهد من الله وعهد من الناس ، [و] هكذا قال مجاهد ،
وعكرمة ، وعطاء ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، والربيع بن أنس . وقوله : (و
بَاءُوا بِغَضَبِ مِّنَ اللَّهِ) أي : ألزموا فالتزموا بغضب من الله ، وهم يستحقونه (وضربت
عليهم) أي : ألزموها قدرا وشرعا . ولهذا قال : (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله

ويقتلون الأنبياء بغير حق) أي : وإنما حملهم على ذلك الكبر والبغي والحسد ، فأعقبهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبدا ، متصلا بذلة الآخرة ، ثم قال تعالى : (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي : إنما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله وقيضوا لذلك أنهم كانوا يكثرون العصيان لأوامر الله ، عز وجل ، والغشيان لمعاصي الله ، والاعتداء في شرع الله ، فعيادا بالله من ذلك ، والله المستعان . قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر الأزدي ، عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي ، ثم يقوم سوق بقلهم في آخر النهار .